فتى الغيم

" مجموعة قصصية "

أسماء عقونى

فتى الغيم

· مجموعة قصصية ·

اسم الكاتبة : أسماء عقوني
تدقيق لغوي: أوسماعل إيمان عبدالحكيم
تصميم الغلاف: عمرو أنور علي
الإخراج الفنيّ: جمال عبدالرحيم
رقم الإيداع: ٢٨٤٧٦ / ٢٠١٧

١١٤ عمارات جنوب الأحياء – مدينة السادس من أكتوبر
موبايل و واتس : ٠١٠٣٠٣٦٥٨٠١

جميع الحقوق محفوظة للناشر
وأي اقتباس أو إعادة طبع أو نشر في أي صورة كانت ورقية أو إلكترونية،
أو بأية وسيلة سمعية أو بصرية دون إذنٍ كتابيٍّ من الناشر؛
يُعَرِّضُ فاعله للمساءلة القانونية.

فتَى الغيم

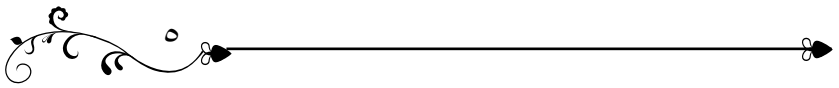

إهداء

إليكم....

إلى من ينتظرون فصل الشتاء بلهفة ، فقط ليبلل الغيث نفوسهم وينموا داخلهم الحب

إلى كل من يزهر صباحاهم نورا بصور من أحبوا يوما

إلى كل من يحب في صمت و لا ينسى

إلي الباحثين عن السعادة..عن الحب ، عن الحياة...

أنت نعم ...

إليك...

كن فرحا

كن نورا

كن حبا

كن أغنية

شكر

إلى وافرة الأمل ، من منحتني كل هذا الحب ،

بفضلها تمكنت من كتابة ما يختلج النفوس

إلى من تملك داخلها ما يحتاجه العالم من سعادة ....

إلى أمي

إلى أسرتي الرائعة ، أبي و إخوتي .

إلى الذين علموني أننا " نبقى " ما دمنا على قيد الكتابة

أساتذتي...

إلى كل من آمنوا بي ..

إلى إيمان عبد الحكيم صديقتي التي لم ألتقي بها ، لكن التقى الشغف و الأمل

و الإبداع ليجمع بيننا و يجعلني أحبها.

إلى من يحبون الخير لهاته الأمة

إليكم أنتم .

****

كلمة

هذه مجموعة قصصية تنبض بكثير من المشاعر الصادقة الإنسانية ، تجلت فيها رقة الكاتبة و إحساسها المفعم الفياض الصادق بآلام المعذبين و المقهورين و المحرومين و العاشقين .

نفذت الكاتبة إلى أعماق شخصية بائسة منكسرة محزونة ، بلورت ما تحسه و استخرجت ذلك الركام من الأحاسيس المفعمة بالمرارة و الكآبة و الألم والضنك و الأسى و الحب في سياق شعوري متناغم مع ذلك الوصف لمعاناتهم و شرودهم .

أتقنت طرح تلك المشكلات الملحة و المؤلمة التي تشكل حقيقتها مأساة انسانية شامية جمعاء في صراعها مع الذات و الخوف و الألم و الحب ، برعت في تصوير كل ذلك في قالب قصصي سردي مشوق توافرت فيه عناصر القصة الكاملة من بداية و نهاية و حل .

أُسماعَ إيمان عبد الحكيم

كُلّ الكِلمات للشّام

ممنوع أن تصرخ ، تبتلع ألمك وتخنقك الغصة وطعم الدمع الساخن يزيد من مرارة المكان ، في هذه الظلمة سأتركك وحدك وبين آلاف الآهات . أنا لا أصدق ، هل حقا توقفت نبضات قلبك و أنت تبرد مني و تتلاشى الحمرة في دمك ؟!

بدأ اليوم و انتهى لكنني مازلت أنتظرك ، أين ستذهب ؟! لا تدعني وحدي لأني لن أعرف طريق العودة بدون أصابعك الصغيرة الدافئة التي تتخلل يدي . سامحني على كل هاته الأتربة الممزوجة بالدموع ، فأنا لم أقصد أن أشوه وجهك الجميل ، أذني على قلبك لكن لا صوت يرد لي !! ، أريد أن أستعيدك وتطمع نفسى بأن تفتح عينيك ...فلا أجد إجابات . لا تسألني لما سأتركك هنا وأذهب ؟ لأني لا أعلم كيف سأبقى في هذا الجسد بدونك . سامحني تركتك في الظلمة لا أضواء هنا سوى نور وجنتيك .....

كيف ستنام هنا و البرد و الظلام ؟!و أنت كنت تبقي مصباح غرفتك مضاء طول الليل لأنك تخاف الظلمة . ثقيلة هاته الليلة بدونك ومظلمة غرفتك رغم كل هاته الإنارة، كم ستتركني هنا بدونك ؟ ألن تخبرني ؟! لأن هذه الثواني كانت دهرا كبرت فيه ولم أعد أقدر على هذا الفراق .

عاد الصمت مرة أخرى لكنه يريد أن يستقر الآن و تنبت معه التعاسة ، فتح الباب و دخل ذلك الظل ، كان الجو هادئا ولم يكن لنا سوى أمل أن يكبر ابننا وتكن لنا معه ابتسامة.

آآآآه ... كم صعب أن يفتح الجرح مرات عديدة و نبقى نشاعد لينزف عمرا و ألما ويتساقط منا كل ما بنيناه من لقاءات و سطور في كراسنا اليومي ، مستقبل كان يبعث فينا تشبثا بالحياة ، ويتبخر كل شيء في انقطاع الأنفاس ، وتبرد فجأة تفاصيل لتصبح مشهدا واحدا ... هو أنني وحدي بدونك ، وحدي و فقط من دونك سأبقى وحدي .كان زواجنا سريعا ولم نأخذ وقتا كبيرا مثلما يفعل أغلب المقبلين على الزواج في التحضير للتفاصيل ، تزوجنا عن حب نما من حب أمي لها و اختيارها لي ، و أنجبنا يونس ، كان قطعة أكملت الصورة بل وحققت توازن الحب بيننا لحب جماعي. و أخيرا في قطعة منها و مني ، أحببته مثل أمه وربما أكثر،

كنت أراهما معا هدية يجب أن أشكر الله عليها ، لكن الحياة لم تكن بتلك السهولة ، حيث الحرب حولت اليوم إلى تهديد بالفقدان ، هنا جعلت من دكان الحلويات الذي أملكه إلى ركام يجلس عليه الصبية يترقبون بخوف قذائف الحرية المزعومة بخوف و حيرة ، لم أكن أعرف سوى صنع وبيع الحلويات بعد أن توفي أبي وتركني بين أمل الدراسة وألم الفراق ، أخذت الحرب أجمل ما نملك لأجل الوهم . تركت ما أحب لأجل من نحب ، وعملت بما كان لي من نقود قليلة مع صديق لي في بيع الماء الصالح للشرب والذي أصبح بفضل صناع العالم الجديد .. عالم نتقدم فيه قرونا للوراء ، أصبحنا فيه نبحث عن الماء . اللعنة عليهم كيف يكرهوننا !؟!! ....

لم تكن الأمور ميسورة لكننا كنا أحسن من غيرنا بكثير ، طلبت من أمي أن تختار لي فتاة تحب الحياة لأنها وحدها كانت تصلح زوجة لهذا الزمن القاسي ، حبها للحياة سيجعلها تتشبث بي و معا نبقى على قيد المحاولة لأننا ندرك أن الألم و الحزن و نكبات الدهر ستتخلل تفاصيل حياتنا و أن سوريا الآن ليست سوريا التي كانت بالأمس. بلدنا يحتاج أكثر من كوننا بشر ، أكثر من كونها امرأة و أكثر من كوني رجل ، هي تحتاج أن ننسى أن لنا الحق في ما يطلبه الناس العاديون . نحن هنا نحارب من كل مكان و لذلك لا يجب أن نشبههم ، نحن نشبه تراب و أحجار الجبال ، و جثث الرجال ، نشبه صرخات الثكالى و نحيب القبور ، نشبه بقايا سطور في مصحف احترق ليضيء العالم الجديد . نحن نشبه نظرات الصغار لبيوتهم المهدمة و ألم الجوع من الحصار. لذلك لا يحق لنا أن نكون مثل كل البشر ، بكت أمي على أنغام الوجع ، و تنهدت بطول الحب و البقاء لك يا بلدي ، دعواتها شفاء .

لا نفهم ما يحصل لنا ! ، وطن يحارب من كل مكان ، أصبح الأمر فجأة قضية رأي عام و أولى المهام لذا اخترتها امرأة من حب و حلم .....

قررت الزواج بها ، التقينا في غرفة الاستقبال ، و كانت شام أجمل ما حصل لي بعد هذا الخراب ، أحببتها لأنها ترى سوريا هي البداية و هي النهاية ، و لأننا نحن التاريخ يجب أن يستقيم القلم ليكتب عنا .

تزوجنا وكانت يوما بعد يوم تزداد شام بهاء و جمالا ، لم تختلف عن أمنا سوريا ، كنا ننتقل كل مدة إلى مكان ، لأني بحكم عملي الجديد متطوعا

لمساعدة الجرحى ، لم يسمح لي بالاستقرار ، طلبت من شام أن تبقى في بيت أهلها لأن الأمر سيكون شاقا ، لكنها كانت كما حلمت بها دوما ، شام تحب الحياة بأنفاس سوريا ، قالت لي أن مرافقتها لي والقيام بواجباتها يريحها ويشعرها بأنها تشارك في حماية الوطن.....

أكنت فرحا بيني وبين نفسي ، كنت اريدها معي لأني أحتاجها في ظلمة الأمكنة وفي خوف ، وفي الوجع مما أراه طوال اليوم من ضحايا وبقايا و أحزان ، أردت هذا البقاء لكن أشفقت على جسدها الرهيف من صعوبات التنقل خصوصا أنها كانت حاملا . قلت لي لن يكون الأمر بتلك السهولة و لن نسمح لعبدة الشياطين أن يرسلوا لنا لعناتهم ، بل ستحل لعنتنا نحن عليهم و سنرسلهم إلى الجحيم وكل الكلاب التي سمنت وتضاعفت بطونها ستجوع حد الموت لأننا لن نكتفي باللعنة بل سنجتث نجاستهم لأنه لا مكان لهم في أرضنا ولن يحلموا بعد الموت إلا بالموت...

جعلت الحرب هنا الأجساد أقوى و أصبح الموت هو الحياة صورة ترسم وطنا بالألوان ثلاثية الأبعاد غير قابلة للمس ، أنظر و فقط و حطم واقعك و ابني الحلم فوق الركام عند صناع أوطان من ورق و ألوان و رصاص تفرض قوانين الغاب ، فالحضارة عندهم حضارة كلاب تنبح وتنهش كي تفرض لعنة الناب بالناب و البقاء للغالب . حرية بدون إنسان هل من عاقل هنا كي يشرح لنا معنى جثث حرة و حضارة المنازل و المدارس المدمرة ؟ . قف هنا وتفرج على المسرحية ، كم تبعدنا المسافات لكننا نشتاق، لم نكن نعرف كم كنا أطفال إلا بعد

الفطام وبعدما اختلط اللبن بالدم صار لزاما علينا أن نقف و نحميك لأننا لسنا سوى وجودك أن طعم الألم يغذينا ويشعرنا أننا مصدر قلق للآخرين ، يعني لنا البقاء أحياء أن نزيد في عمر الوطن

لنحيله بتراص الأيام عمرا سرمديا نموت ليبقى . عشت وطنا اسمه شام و امرأة تقترب معها الحياة هذا ما أردته أنا في زمن التراب .

هكذا أصبحت الأرواح أرخص كأن همي الوحيد توثيق الحقيقة بعدما زيفها اللذين سكنوا هناك ، هربوا قبل عرس الشيطان بعدما حضروا له المكان ونسوا أننا نحن الزمان و بيدنا يصبح التراب نارا و نحيل رقصاتهم نحيبا وعويلا . كنت أصور الشعب يحيا من نظرات

العزة وجثث ماتت و هي تحيي الوطن أطفالا ترضع أمهاتها لبن بطعم الكفن بقدر البعد تقترب كلمات شام للشام كانت غزلا وهوى جعلنى متيما بهما حد الجنون ، جنون يجعلك لا تشعر بانفصال جزء منك بقي فترى قدمك و هي تبكي ألما و أنت مازلت ممسكا بالكمرات و تتشبث بالرمام ليرى العالم سر البقاء لهذا البلد شعب وجنود من نار يشتعلون بكلمة حب ويلتهمون كل شيطان بنفس من الله .

نظرت إلي شام و قالت :

- كم أحب هذه القطرات التي ترصع جبينك ، عرق ممزوج بتراب الوطن يصبح مسكا يعبق كل البيت ..

قلت لها:

- أريج وبهاء عينيك هو ياسمين الشام .

كان وجودها يبقى على وجودي ، أعلم أني لم أنسحب ، لكن هل يتمثل البشر ملا . حرب المساحة كلنا نتقاتل لأجل الوسع نخاف من الآخر لأننا نبث الخبث في نية من حولنا قانون التشابه بين البسر وعدوى الجشع . أصبحت الحرية كلمة متداولة تخلط مع الدقيق والماء لتصبح خبزا و تحلي الشاي في سهراتنا و تهدهد الطفل في سريره ليلا ، صرنا نحدث أنفسنا بها و نستفيق على نسمتها في خيوط الفجر ...ونلون صور الكتب و نجر القلم سطورا طلبا لها نحيل الطلب قربانا لنتحرر من أنفسنا و ندخل في عبودية جديدة.

أكذوبة هي ومنذ الأزل تمرغ الناس و توأد الروح بحثا عنها ، رحلة الموت و لا تزال تتغلغل في البشر من كبيرهم إلى الطفل تؤرقهم وتحيلهم بؤساء حالمين بالمرور إلى القيد.

القيد هو قانون التنفس و من يريد الحرية فليبحث عن جسد لا يتنفس قيد الشهيق والزفير، قيد البقاء على الهواء ، قيد الشجر و الماء ، لا حرية لك و لا لي لأنه يحكمنا قانون الطبيعة . وجودك بحرية يعني إمكانية اتخاذ قرارات مالا نهائية ، إذن ربما أكون أنا أحدها.

قد لا أناسب حريتك ، علي أن أبقى حرا . بل سأموت لتثبت حريتك عزيزي الحر. قيدك يقيدني و وجودك هكذا بدون ضبك تهديد للجميع صناع العلم الأفضل يقتلعون البشر ليزرعوا الحرية، إذن ابحثوا بعدها عن من سيمارسونها أم ستنبت حريتكم بشرا تلد و ترضع و تربي و...و...

أيها الشيطان أخرج الدم باسم الحرية ، كل من الممنوع عنك أنت حر ،حـــر ونحن اليوم نموت لأن الواقفين فوق مرتفع ابنزاهة يرون الفساد و الاضطهاد لذلك ركبوا طائراتهم حطوا كمنقذين و مهللين، ماذا يعني لك الفرح !؟ هو الفعلان على الوجود .... لا مكان للواقفين على مفترق اتخاذ القرار .. هي الكرامة تطبق قبضتها وتعصرنا دما ورحما و ذكريات.

لا يشفى جرح الكرامة ، اقترب أكثر وسترى أني أتألم منذ أيام ، الوطن أيام الجرح الذي لا ينزف إلا بشرا ، و هنا نحن نكدس الجثث لعل الجرح يلتان الكرامة . إن انسجام الأخطاء يجعلنا نتساءل هل كل ما يحدث صدفة ؟ هنا للمرة الأولى قد نتوهم هذا ، لكن تكرار الأمر يثير الاشمئزاز لأننا مازلنا للأسف نفكر أناي بكل ما يختلجه من غضب ، مازال يبحث عن السبب لكل هذا الخراب ، آثار الموت وغضب الخسارة جعل القادمين من المستقبل الأفضل يفهمون متأخرا أنه لا حياة خارج الوطن ، هم لا يفهمون أن المصير أمر يخصنا وحدنا لأننا تصنعنا اختياراتنا.

بعد كل يوم كنت أعود منهكا من مشهد مفتعلة أن اضرام الفوضى بشكل متقن يجعلنا نولد ونبعث من جديد يستفزنا التدبير المسبق بتواطؤ مع الزمن ، الأمر يحتاج أكثر من مجرد اسم ، للأسف لدينا أعين ، لكننا لا نبصر سأعطي هذا العالم القاسي الملك الذي يستحق ، أنا لعمري ثواني تحسب و دهر في حساب عشق الوطن بسنين التراب و العرق و أفراح كانت تقام على أضواء ، تلك الغصة تخنقني و تحول اليوم إلى دهر و إلى وجع سرمدي . كان الأمر مريحا ولم نكن نشتاق لهذه الدرجة لرؤية دخان بيوتنا المهدمة رغم كل الثقوب التي تتسرب منها مياه الشتاء و أشعة الشمس إلا أننا كنا نتنفس وطنا ونحتسي الشاي فى ردهة البيت و تعلو ضحكات الصغار. كان يلف المكان و يحوله جنة معا ، كانت أجسادنا الحية مصدر بهجة و البحث عنا كان شغلنا بين آمال في عيوني ، تعالوا و احلموا معي لأنهم لن يصلوا إلى هذا المكان ، أين نصنع لنا امتحانات ، كنت دائما أظن أن وطني لن يطعن من الخلف لأننا نؤنث بالأصدقاء و لأننا مربوطين بحبل سري تغذيه العروبة إلا أن صفعة القصف العربي كانت أكبر و أعنق من أن تبقى على سذاجتي .

كبرت قبل الوقت و تغيرت مشاريع الطفولة بلا أية إضاءة نظن أننا نرى ، لا نحن نتحسس أنفاسهم ونسدد نحو الخطر الذي يلحق بالقلوب فتغفوا أحلامنا في انتظار التحقق .

بدى صوت الضوي قريبا و صار ضباب البيوت المدمرة يغطي عدسة الكاميرا ككل ، توقفت بين أكوام من الحجارة و بدأت امسح في الزجاجة ، كل لباسي أتربة حتى المنديل الذي في جيبي . نظرت أمامي ، وجدت علبة محطمة ، فتحتها كنت كمن أعاد شريط الحياة لهذا الحي ، بل لهذا البين سبحة و منديل مطرز بعدة حروف و صور العائلة ، و نقود ملفوفة في ورق جريدة كانت تغني أن هناك مستقبل لنا ما نريد أن نكون عليه رائحة البيت و كعم الخبز و ضحكات الصغار و حطب الشتاء و أيام الصغر ، زغاريد للأعراس ، هل من أحد هنا؟ من ستحررون ؟ و من سيرى مولدوكم الجدد ؟ أسميتموها حرية .. شكرا للألم لأنه صنع منا أجسادا غير قابلة للكسر في هذا الوسع من الأحزان ، بات الدمع يهطل دوما دون توقف .

لا نأخذ نفسا جديدا فكل وقت يمر تتكدس فيه الأموات بدهشة ، أسارع في البكاء لأنني أخاف من الموت باكرا .. رغم ظلمة المكان إلا إننا نعرف أن الهمس موجود ، شوارعنا النظيفة نجتازها بدون أحذية ، تنسى الحضارة العابثة أن تخضر معها أغطية أقدام المستقبل بظل تلميع شعاراتها لأن بريقها لم يعد مقنعا . و لما أغمضت أعيننا و وثقنا بالحياة خانتنا ، رحلة طويلة بدايتها هنا لكن بالضرورة ستكتب بوجودنا و ترقص جثثنا لتعلن عنا .

أحيانا تعرفنا التجارب عن أحد يعيش فينا لم نكن نعرفه أو لم نسمح له بالقدوم ، بل بقي حبيسا . ستكون بخير كانت ، دائما أمي تحب أن تشعرني بأني

موجود على مر حبها . ماذا زرعنا لنحصد هذا الخراب في هذا الاختناق ؟ لا أتمنى سوى بعض من أن نتواجد بالقرب من الوطن حتى مع هذه الأتربة نتنفس بعمق لحد أن نبقى أحياءا رغم كل الجراح....

تتخلل رائحة التراب في كل ذكرياتي الصامدة في وجه النسيان ، هل يمكن أن نجد سائلا سحريا لننسى هذا الخراب ؟ بعدت المسافات ، الفراق يساوي عندي البقاء وحيدا حتى الموت . هل يعقل أن نقول على أنفسنا أننا باقون ؟! مازال الوقت مبكرا على هذه الأحزان لم لا تتركونا نغفو قليلا ضمن حلم ولا نخرج منه لرؤيتكم ؟! ..

بمزيد من المفقودين بين الركام تكبر أحلامنا بغد أفضل.... كانت الشمس تشعرنا بأننا على قيد العمل....و ارتشاف الصبح مع قطع الخبز المحمصة على أغصان شجر بعيد و بين هذه الذكريات تنتفض جوارحي عودة لقنابل الحرية ، على الواجهة تتهدم الأحلام و ترسم على محياها ابتسامة محافظة على حلمي من النهايات التعيسة فأنا لم يبقى لي سواه ملاذ أخير الدهشة ....

ماتت عائلتي ، كان الصوت متقطع من هاتف جاري :

- لقد هدمت البيوت وكل من كانوا في البيوت وجدناهم موتى عندما قدمنا من العمل .

..أجهشت بكاء ، كان كلامه يخدر جسدي حتى وصل إلى يدي ، سقط الهاتف وهو يسحبني معه إلى الأرض ، كانوا من حولي كأشباح لأني تسربت بين الركام الذي حولي....لا مكان لي بعد هذا ..أنا الآن بقايا انسان.

إلى وطني سوريا سأموت ليعيش الوطن يا حبيبتي شام .

****

صمت

ككل الحكايات يعلو النبض داخلنا و تتسارع اللحظات السعيدة ، لكن وحده الصمت يقتلنا ببطء ، أحببته في كل وقت كان يمر و كان تذكره يغذي هذه الحياة بداخلي..كانت فكرة اللقاء به مصدر فرحة .

جميلة هي الصدفة في الحب لم يكن أمرا مدبرا ،جمعت الأمنيات في سحابات المساء و هطلت هدايا مع خيوط الفجر... كان أجمل هدية ، أين يلتقي الرسم و الشعر و الحب ، و تلتقي سمات الرجولة و يكبر الطفل لكي يحمي عائلته ، كم تغرينا هذه اللقاءات . رغم أنه رأى الكثير إلا أنه مازال يحمل بداخله ذلك الحلم ويعيش مفترشا كل ما يتذكره من وطنه الذي غادره دون إرادته . إنه اليتم مرتين لأننا نفقد أوطاننا لنحملها هنا داخلنا ، لكننا نعيش اليتم عندما نموت خارج حياة الوطن .

رحلته الطويلة جعلته يكبر و معه مسؤولياته ، أصبح يعيش لأجل أمه و إخوته بعدما مات الأب و أصبح الوطن بعيدا هناك . تجمعنا الحياة و يفرقنا البشر كان يقول لي هذا دائما عندما نجتمع في العالم الافتراضي ، إنه يشتاق للشام.....

أنا أعرف معنى أن نحارب من كل مكان ، فقط لأننا على حق ، الخجل بداخلي يمنعني من الرد فالعرب أثبتوا بجدارة أنهم ليسوا على قيد العروبة و أنهم باعوا القضية...

على قيد المكان ، كان الصمت أحد الأسلحته التي يتقن استعمالها ... كان يجب أن أفهم أنه لم يكن كباقي الشباب ، ما مربه من لقاء متكرر مع الموت جعله لا يخاف من أي خسارة إلا أن يخسر هو ، أصبح فقدانه لأحبائه جرحا ينزف داخله لينمو معه هذا البرود . ما بدى لي حجرا لا ينبض كان قلبا أعياه الحزن وقرر أن يتصلب ليعيش . الخوف من الحب ومن التعلق بأي شخص لأنه لا يملك القدرة على هذا القرب ولن يحتمل البعد...

فارغة هذه الروح إلا من الوجع في كل لمسة لها تأن . وصور من التهمتهم الحرب تجعل ، الجرح غائر داخله .

جعلت الحرب هذا الطفل بداخله يموت اختناقا و احتراقا على من راحوا و على من لا مازالوا في احتضار... التهب فؤاده منر هذا الوطن المحترق بداخله ، كل هذا الركام لم يبقى متسعا لأى شخص داخله . اكتفى بأنه كائن وفقط لكي يستمر على قيد الحياة ،حياة الجسد تغيرت كل أحلام الصغر ، لم يستطع أن يكمل دراسته لأن البلدة لم يبقى فيها سوى بقايا حملهم دخان و الغمام إلى ضفة الحطام. كل ما جاء بعدها ، رحلة البحث عن الأمل في العودة . كانت أمه و اخوته مسؤولية تحملها باكرا ، استيقظ ليجد نفسه أبا في وطن غريب لم تدع له الحياة وقتا ليفهم بل كان يجب أن يتحرك بسرعة كي يحمي ما تبقى له من دم و ألم . لتحكم عليه يجب أن تراه بوضوح بعيون لم تجف من الدموع ، ومن الرغبة في أن يعود ويع الوطن ....

لي معه كلمات و أسطر من الشعر و أمنيات بالغد الواعد ، و لوحات على قيد الرسم....

صور الشام كانت سبب اللقاء ، كانت مصدر حياة بألوان تحفظ ما كان على أمل أن يكون ليعشق الرجل وطنه هكذا هو أكيد اكبر من هذا الصمت ...لماذا إذن اختار أن يختزل الكلمات في هذه الصور ؟؟

يجعلنا الشوق أضعف لأننا به نعرف حقا أن الحب ليس مجرد عاطفة ، يلملم نفسك المتناثرة هنا و هناك ، كلماته المدونة رغم قسوتها لكنها تجعلني أفهم معنى فقدان من نحب ، سحبت نفسي هناك و بقيت أتأمل سكونه ، كان على وقع دقات الساعة يعمل ، يذهب إلى البيت يصلي و يشرب الماء لينام و يعمل ، لم يكن له وقت ليراني حتى ما رأيته أنا جفاء كان حملا ثقيلا لم يرى من خلاله سوى أن يحافظوا على شغل لم يكن سهلا العثور عليه بدون أوراق و لا سبيل للمغادرة . أصبح الالتفات ممنوع ولم يبقى منه سوى بقايا صور أراه فيها فقط يبتسم لتولد بفرحته نبضات هذا القلب.....

هذه الروح تشتاق إليك و يجعلها الصمت تبحث عنك بين تنهيدات القلم وبين تفاصيل الرسم ، كم كان الوقت ثقيلا بدونك !!!

لما أتحمل كل هذا ؟! و لما أفعل معه هذا !؟ هو لا يحب كثرة الكلام و أنا أعشق حديثه، كل مرة كان يتركني على حافة الانتظار. وعندما تفتح الكلمات تكون أصعب من الصمت

كنت أتوق للحب وكان يتنفس وطنه ، هو التوقيت الخطأ ، الحب يختلج زمانا ومكانا مع كل شيء حي لن يموت وهذا ما لم يكن هنا...

بدأ الصبح متسعا حد الوجع ، حد الاشتياق ، كان يجب أن آخذ جرعة أخرى من الصبر.. لكن روحي ما هادت تستجيب ، هي في احتضارها الأخير ، كانت لا تريد سوى سماع صوته، وحده صوته كان قادرا على أن يبقيها على قيد الانتظار...

كم غيرتنا الحروب !! وكم سنبقى هكذا ننتظر عودة من نحب على قارعة الموت ؟! أطل بين الكلمات لعلي أراه يمر ساحبا معه ألوانه وحبا يتقد في صور .

هكذا يجعلنا الصمت ننتظر...

****

الحبّ يجعلنا نبدُو أجمل

نحب طبعا فنحن نعيش على هذا النبض، يبدأ منك لتصل إلى الآخر أو العكس لكن ....قصتنا كلها تحكي عبثية المتيمين بما تعودنا عليه من مآسي وفراق و اشتياق نعم ...الحب معاناة وبدونها يصبح كأي مهمة نكملها لنستلم في الغد غيرها ، لم أجد أجمل من الوطن لحبه، لأنه بطل الحكايات كلها و به ومعه نولد ونحب، ولأجله نموت ، إلى وطني. كان اليوم مغريا للبقاء بنهم شربت القهوة لم أكن أعلم أني أحبها لهذه الدرجة ، ذابت الظلمة داخل الفنجان وفتح الكلم لي شرفة تطل على البحر ، كانت الأمواج تتخلل روحي ، الفنجان الأول ثم الثاني و الثالث ،كان على طعم الاشتياق ينساب في عرقي ....من البوح تولد هاته العاطفة لأنها تختنق بداخلي أصبح ما يسكن روحي يلح على أن يلتقي بك حتى ولو مكتوبا على هذا البياض.

أكملت دراستي واتجهت إلى مخبئي السري ، كنت تلك الفتاة التي ترسم على شرفات أيامها تفاصيل الورقة والقلم... كان هذا اليوم طويل يعج بالتفاصيل و بتواطؤ مع الزمن ....وعقارب الساعة الثقيلة التي تجعل التعب .

على قيد البقاء كل أصوات محركها كانت تشتغل داخل رأسي بنفس النوتة المملة تك تك تك تك ، كنت استجدي المغيب ليطلق سراحي طمعا في أن تغفو هاته الوحشة لتسلل داخل حلم .

هكذا أهرب ، فأنا قررت أن لا أفتح عيناي مجددا إلا في حلمي هناك ، لأراني متحررة من سلطة المشاعر .نعم ترعبنا فكرة الاستيقاظ . ككل النساء أحببت أن أرى الحياة ملونة ، لذا امتطيت صهوة الحلم .لكن للأسف يبقى الاستيقاظ ضرورة ، ظلت الرغبة تنتظر وتنتظر من شرفات الأمنيات ...سذاجتي أو ما يخففون به من ثقل الكلمة لنقل براءة كانت مصدر ازعاج لذوي العقول الكبيرة . إننا نبدو عدنا للصغر ومع الوقت نبدأ في اقتناء أقنعة لنكمل بها طريقنا. هنا نوقن أننا نضجنا عندما نتقن اخفاء ما نشعر به. بعد يوم من الدراسة إلى مقهى أمام الجامعة كان المكان الذي انفض فيه غبار اليوم و أجمع ما يستحق أن أحتفظ به ، أرتب نفسي فوق طاولة الشاي بالليمون ، كان وحده يفهمني ويريحني. جلست على الكرسي و استنشقت رائحة الربيع داخل كأس الشاي عندها تفتحت الزهور في عقلي ، رفعت عيناي على شخصية تجلس هناك بكثير من التأنق المبالغ فيه وحقيبة جلدية ثمينة كانت كافية لكي تغريني لمعرفة المزيد ، فتح الظرف و أخرج الرسالة بأطراف أصابعه وبصوت مليء بالغرور قرأ الكلمات وختمها بنصف ابتسامة و ألقاها بعيدا ونفض سرواله و أعاد ترتيب نفسه وغادر.

اتجهت مباشرة إلى الرسالة طبعا بعدما تأكدت من أنه خرج من المطعم ، التهمني الفضول منذوقعت عيناي .عليه المحفظة الجلدية ولباسه الرسمي يظهر من خلله الفخامة كل ما دار حوله وحول تلك الكلمات المدونة تركتني أرى امرأة تكبر بين الجمل ، حملت الورقة المدمرة من تحت الطاولة وسارعت

لقراءتها ،كتب فيها المكان والأشياء تختلف عندنا عندما نحب و يصبح لقطرات المطر ولصوت الصباح ولرائحة الزمان متسع للبقاء ، نحدق طويلا بدون ملل إلى كل ما يذكرنا بمن نحب ونقرأ في تفاصيل السم حياة كاملة.

كان اليوم يمر كشيخ كبير يسحب خطواته إلى أقرب كرسي ليرتاح من لعنة العمر وفجأة يتمدد الجلد وتعود الحمرة للوجه ، تتسع حدقة العين ويعلو النبض وعلى وقع موسيقى ترقص الروح ، يسحبك الحب إلى أيام الطفولة و يحملك إلى أرجوحة الهوى لتبدو أصغر ، أ لهذا الحد يمنحنا الحب عمرا آخر يختفي معه الخوف ؟ من النهاية لأننا على قيد الحب لا نكبر فقط نزداد جمالا ونضارة ،تختفي رواسب الزمن و يلحظ كل من حولنا كم نحن نشرق بأشعة .سحرية يحتاج الجسد إلى روح تسكنه وتعتني بتقلباته و تهون عليه مزاجيته ، تمنحه مكانا للاسترخاء ،هكذا حبك جعلني أبدو أجمل ،كل ما نراه من بريق هو بفضل من أحببناهم يوما . هذه الشمعة لتنطفئ لأنها اشتعلت حبا و قبس الحب سرمد يراه الناس في عيون العشاق دائما ليقتله الزمن

.كم أنت فاتنة يا سيدتي وكم هو لا يستحق حتى مجرد التفكير فيه! . كلمات سطورها . قالت أعلم أنك مشغول لكنك تتقن القراءة على عجل ، أنا أكتب لأني أحيا كتابة ، أعلم أنه لا يليق بك . ألن يحظر المدير؟ أن تتكلم مع سيدة بسيطة تحيى على تدريس أطفال القرية و أنت ابن المدينة العائمة في الحضارة . نحن من نظهر أو نخفي مشاعرنا فتولد وقد تحتضر حكاية على عتبة المكان ولقاء على فنجان قهوة يعطي لنا قصة وربما نفس الفنجان قد يلفت انتباهنا

وحده الشعور بك ومعك يجعل الرؤية اوضح ويعطي للمكان روحا كيف حالك وحال كل ما مربك احقا اصبحت شخصا مختلفا اقصد مرموقا بالنسبة لي ، لطالما كنت الأفضل في كل العالم ، أظن أني أكملت هذا البياض وأخرتك عن حياتك الجديدة ، عدت للرسالة وحدقت طويل في السيجارة وفنجان القهوة كانا يحتضران ولم يبقى منهما إلا دخان متصاعد يخنق المشاعر ، هل اكتملت حياة امرأة مع رشفات فنجان رجل نرجسي ؟ خرجت وأنا أفكر هل نرمي من كانوا في الماضي أهم شخص بالنسبة لنا لمجرد أنهم يذكروننا بأننا بشر من دمع وندم لذى نسارع في الاختباء يجب أن نخبئ

الماضي لكي لا نضيع في زحام الحاضر هل المستقبل لعنة على من نحب بقيت هكذا في ضجيج من أصوات داخلي والرسالة في حقيبتي اثقلت خطواتي وصلت المنزل ورتبت أفكاري ووضعتها جانبا لأني أردت أن أغفو على شرفات الحلم وعلى غير عادتها وسادتي لم تكن مستعدة لتحليق بي عاودت الاستدارة ونظرت إلى السماء ، أقصد السقف فأنا أرى غرفتي من زجاج جنون المخيلة كان لعنة أصبت بها ، وأعراضها هذا الفضول الذي يلزمني أينما ذهبت أردت حقا أن ألتقي بهاته الطفلة الحالمة الجرح الغائر داخلها جعلها تفقد كل قواها واستسلمت للاشتياق كان مجرد أنه بخير يكفيها رغم أنه لم يهتم حتى بالاحتفاظ برسلاتها لدقائق ختمت لهفتها بما يكفي ليجعلني أعتزل الحب قالت إذا رحلت تذكر فقط أنك في قلبي ستبقى للأبد باسم الحب تعلن مملكة الوجدان عن الولاء لمن نحب يصبح الزمان والمكان وتفاصيل الحياة لشيء

أو كل شيء حسب قانون الغياب .والحضور في داخلنا تنام جنية الحب في سبات عميق هي بالزمن وبل

هواء وحده الضوء الخافت الذي ينبعث من القلب يجعلها هناك هي لا تستيقظ الا في فصل الحب ، لا أحد يعرف متى هذا الفصل للخامس فيه تتساقط أوراق الملل وتزهر الرغبة في الحياة وتنبعث الموسيقى من كل مكان ... كانت رسائلها تشبع غروره ورميها بعيدا يمنحه اتساعا في رجولته تحت مبدأ البقاء فأنت دائما هنا إذن بالضرورة ستبقى تنتظر لأنك تدمن البقاء. أحقا نفهم الاهتمام ضعفا ؟ إذن اعلم سيدي أنك خسرت الكثير قلب كان يتسع لكل ما كان وما سيكون فهي بحبك ستبقى الأجمل أما أنت فستنتهي عند عتبة غرورك كتبت هذا في بطاقة ووضعتها في ظرف كتبت عليه الحب يجعلنا نبدو أجمل وتركتها عند النادل وقلت له إنها سقطت

من السيد الأنيق ، عرفته نعم آنستي هو يحضر دائما جيد إذن سلمها له اتفقنا ، نعم أعرف ما دخلي أنا لم يكن لي علقة بهذا لكني أردت أن أنتقم بطريقتي رغم أن شخصا مثله ينتقم من نفسه في كل لحظة أنانية أنتم معي أكيد في ما قمت به لن .من أحبونا يوما لا يستحقون أن يرموا في سلة النسيان إذن يجب أن نعلم أننا نحب ليس لأننا ضعفاء بل لأن في داخلنا حياة .

****

وطنٌ افتراضيٌ

وطن من وحي الكتابة ، أنثر حروفا فتنبت الكآبة ، و نكبر فتكبر معنا الأسئلة... تعبنا و لم يبقى لنا سوى بقايا صور و ذكرى تحتضر. مخيلتي لم تعد تتذكر أغاني الصباح و رائحة العطر وصوت الآذان ، ألا زلت على قيد وطني ؟.حقا لم أعد أذكر فما عادت لي ساعة في يدي. ثواني و أضغاث، ساعات غادرتني فهرولت خلفها كي أمسكها لأني هنا قد أموت بدون زمن . جدران بيتنا وطعم المغيب و لون المساء و خبز الشتاء...قد أموت...ألم أمت!

أنا مت يوم الدوي ويوم المطر ، كنت هناك ممددا بين البشر... رأيتني في أشلاء جسد مبلل بماء الحرية الملونة ، ماء غطى التراب وغطى الحجر و آلاف الناس تئن وتبكي ، تراها لا تتقن فن حياة التحضر.

ممدد و تعبرني أمنيات أن أرفع يدي و ألوح للشمس كي ترسل خيوطها تكبل هذا الألم ، تضمد جراحي و تكمل يوما ولد ليندثر ، من أنا الآن .!!؟ وهل افتراض وجودي يعيد الوطن ؟! آه يا زمن. وجثث المارين إلى العالم الجديد ، أين هم فلا صوت يسمع ببن القبور ؟؟ أم أني فقدت ملامحي و سقطت ذاتي في إبادة شعب ؟!..

سر في طريقك لا تعرني انتباها ، أنا روح بلا سكن فلا شيء هنا يهم ، صدقني لا يهم . فالبوح لا تعتقد أنه سيمنحك الوجود ،لأن الكلمات تشتعل لتنطفئ بعد عمر قصير لتضيء لنادرب الصمت في هذا الصخب ، تختنق الآهات ، لا أحد

يصغي للوجع ، أين يستباح الأنين و يصبح الألم لغة الشعب الحزين .. هنا يكتب التاريخ فوق جثث العابرين إلى العالم الجديد.

ألم تسأل لما نحن فقط من نبكي ، من نجوع و من نقتل ؟ . لتمت فلا أحد سينتبه في حفلة الرقص أين يعلو صوت الموسيقى .

أيتها الحياة أتسمحين لي برقصة أخيرة على إيقاع وطن يحارب من كل مكان ، يدندن أغنية عنوانها ؟!

حرية بدون إنسان ، تغرينا ألوان الحرية المزعومة و هذه الأخطاء المنسجمة إن تناسقها يقنعنا بضرورة البحث عن وطن آخر... حلم يولد من رحم اليقظة و تغذيه المعاناة ، ليس صدفة أن ترسم لنا ما يجب أن نكون عليه في العالم المصنوع من دم وندم .حاضر غائب ينتظر عالم المستقبل الأفضل !!

ألا يوجد غيرنا من يملك هذا الدم الشهي و المنكه بكل عطور العجز و الصمت ؟!

سيشهد التاريخ أننا وقفنا فوق جثث الأبرياء نشاهد عروض صناع العالم الجديد ، نصفق و نهلل مرحى لأوطان بعيون عبدة الشياطين .

أنا أعتذر إذا ، كان يحق لي الاعتذار من كل من انتظرونا و هم على قيد الاحتضار ، عيوننا شاخصة تحدق بكم لكن أجسادنا الباردة المتصلبة تجبرنا على البقاء ..تجبرنا على أن نموت بلا ملل ، نموت مع سبق المحاولة . أعتذر لأني في عالم لا يتقن إلا الرداءة ويراود النفوس على أن تعبث بالأمل و تحيله مستوى رخيص ..

أعتذر لأني لا أفهم لغة العالم الجديد ، أين تباح ممارسة عبادة الشياطين و يقدم البشر قربانا طيلة سنين . بتواطؤ مع الزمن و في غفلة من ملامح الوجوه تلتهمنا التجاعيد و تحيلنا كومة مهملة .

أعتذر لأني أحدق في الخطأ و أصفق له بعد كل وثبة له فوق جثث تبتسم للقضاء و القدر.

أعتذر للصغار الذين أعماهم غبار قنابل الحضارة ، و للذين مازالوا يحلمون أن يولدوا فوق هذا الركام . بعد أن كسرت الأصنام وغابت عنا الآلهة ، نرجع لعبادة الشياطين نقدم ، كل يوم قطعة منا قرابين لآلهة الموت .

أجيبوني .. هل تصحو الأوطان على وقع الدمار؟ و هل نرسم بدموع الوجع أما وأبا و صغار؟ ، وحديقة بيت و أزهار لنمحها بضغطة زر .

أين اللون ؟ أين الطعم ؟ أين العطر؟ و أين أصوات أحبائنا و ضحكات الصغر ؟ أين.... ؟؟

كل مكان . صباح رمادي بلا شمس ، و حدها السماء تعج بدخان و اختناق ، وتحبس في جوفها ضياء الصباح .

هنا ، نتنشق هواء افتراضي و نحلم أن هناك في الضفة الأخرى الوطن المنتظر، إذن انتظر.... تضيع منا أشعة البقاء و بقايا كبرياء . بحماقات تتكرر ، إننا نضيع مع سبق المحاولة ونزف شعبا بعد شعب و نمحو تفاصيل أصوات الحب ، ونرسم أحلامنا فوق نعش وطن ظن شعبه أنه لم يعد يصلح لهذا القرن .... آسفة لأن لي عقلا مازال يفكر.... !!! .

فتى الغيم

ككل أيام الشتاء ننتظر المطر ليبلل هذه المشاعر لتنموا به آمال و أحلام...
أكملت دراستي و كنت تلك الفتاة التي ترسم على شرفات أيامها تفاصيل الورقة و القلم ، كان الاستماع للأغاني و تبادل الهدايا و النظرات يثير اشمئزازي ، خاصة أن كل تلك الشطحات للراقصين بلداء.

يجلسون خلف الحلم هناك بعيدا ، كان كل شيء على ما يرام لأني أرتب الأشياء مسبقا لأجدها بسرعة ، مواعيد الدراسة منذ الصغر كانت أولوية والبحث عن الكتب كان مقدسا عندي،

مرت أيام الطفولة بكل جنونها ، عشت ألعاب الصغر و لم يسلم التراب من أناملي من بداية اليوم ، حتى يسحبني أبي إلى المنزل و يهدهدني على كتفه المتسع ، كان يعجبني أن أدعي النوم بين يديه ، أغمض عيناي و أسمع فقط خطواته نحو البيت . نبدو أكثر صدقا كلما عدنا للصغر و مع الوقت نبدأ في اقتناء أقنعة لنكمل بها طريقنا ،هناك نوقن أننا نضجنا عندما نتقن اخفاء ما نشعر به .

فكرت في الأمر... لا يمكننا أن نبحث عن الحب ، فهو ليس معروضا في واجهات محلات بيع العاطفة المنتشرة على الجدران ، و لا في أسلاك الهواتف و في سرقات الأحاديث ، و لا في اختلاسات و لقاءات تأخذ منا أكثر مما تعطينا . كثيرون يمشون على مثل هذه البدايات ،

نكون على دقات متسارعة و حماس يغفل عنا رؤية النهاية ، نتجاهلها باسم الحب و الخوف ، نعم لأن الحب مخلوق يخاف كثيرا ... يخلق لك ألف عذر لكي لا يواجه ، يهرب من الأسئلة و يختبئ بين الأعذار... لأن الإجابات ليست في صالحه دائما.

التقينا في منتصف الشوق ، كل منا كان يحمل نصف قلب و يضمه خوفا من أن يغادره و تنتهي الحياة ، كل ما قد يلزمنا بالبقاء كان مستبعدا عندي ،لم أكن أحب القيود ، حرية العقل كانت أولوية عندي تحت شعار" لا مكان للحب " . حملت الشعار عاليا فوق تاج العلم ، هناك بعيدا احتفظت بنفسي لنفسي ،ظننت بهذا أني سأعيش بسلام لكني رميت بدل القلب سلاسل كانت تكبله من سنين ، حررته و أصبحت أنا من أعيش بداخله لا هو.

آه كم نحتاج لشخص مناسب نقطع من أجله قيودا تكبلنا باسم العقل...

التقينا في مكتبة كانت قد فتحت من مدة قصيرة تبيع روايات جبران خليل جبران ، و المنفلوطي....

في داخلنا تنام . جنية الحب في سبات عميق ، هي بلا زمن و بلا هواء ، وحده الضوء الخافت الذي ينبعث من القلب يجعلها هناك ، هي لا تستيقظ إلا في فصل الحب . لا أحد يعرف متى هذا الفصل الخامس . فيه تتساقط أوراق الملل و تزهر الرغبة في الحياة و تنبعث الموسيقى من كل مكان .

وصلت باكرا ، فأنا مع الكتب لا يمكنني أن أنام ، كنت قد كسرت الحصالة الخاصة بالكتب هي عادة تعلمتها من فتى الغيم.

معلمي في الابتدائي كان ينصحنا بها و تعودت عليها ..ذلك المعلم ! ، كان حبا زرع في تربة غضة ونما معه عشقي للكتب .

اتجهت باكرا لاستقبل أحبائي ، كل كاتب بالنسبة لي موعد مع الحياة أتى ليحكي لي ما حصل معه عندما لم نلتق وربما قبل أن أوجد أنا....

نفس عميق ، آخذه هنا لتتخلل رائحة الورق بكل ما فينا من شغف ، و لكن رغم هذا التحليق بين الأفكار إلا أني وجدت شخصا قبلي يحمل مجموعة كتب ، استغربت الأمر لظني أنني الأولى فأنا لم أكد أنم . أسرعت إلى صاحب المكتب و لم ألق التحية لأني انزعجت من وجودي في المرتبة الثانية ، أردت أن أكون أول وجه تراه الكتب و تبتسم له...

- عذرا سيدي متى فتحت ؟

التفت لي صاحب المكتبة مستغربا هذا الدخول الأسطوري ، و استمر لثواني يتأملني ، لكن المتطفل الأول قال مباشرة :

- ألا ترينني أتكلم معه ؟!! على الأقل استأذني .

أحسست أن بقايا العقل في تشتت ، أرجعني إلى أيام الطفولة عندما كنت أتشاجر مع أولاد الحي و أدافع عن البنات .

قلت له :

- ومن أنت حتى تقول لي ما يجب أن أفعله؟ ... آآه منك !!

نظر إلي و ابتسم نصف ابتسامة :

- يا لك من طفلة !

حمل كتبه و ألقى التحية على صاحب المكتبة ثم غادر بخطوات ثابتة و ملابس أنيقة . ذهب و لم أقل شيئا ، أنا التي اعتدت أن لا أترك حقي ... سكتت .

طفلة كلمة مزعجة لكنني لم أنزعج ، سألت صاحب المكتبة :

- من هذا المتعجرف ؟

قال لي :

- إنه صاحب دار النشر التي تهتم بطبع الكتب القديمة فهو يتبرع بجزء من دخل الدار للطبع المجانى و قد جاء باكرا ليتأكد بنفسه من وصول الكتب.

- أووه كم كنت فظة !

قال :

- لا عليك فهو إنسان كريم الخلق .

تجولت في المكتبة لوحدي كما كنت أريد ، لكني لم أفرح بهذا الاستئثار، بقيت الكلمات تدور في عقلي .....

وبذكاء يتخلله خبث مع اشتعال الفضول ، نضجت الفكرة في عقلي فاتجهت إلى الكتب المتبرع بها في جناح خاص و أخذت اسم الدار و اسم المتعجرف و رقم الهاتف ، عدت إلى المنزل مع أحبائي كتب الطبع الأول ، كم أحب صوت فرقعة الورق عندما يفتح الكتاب لأول مرة !

أول عبارة قرأتها لكتيب صغير شد انتباهي هي " الحب يجعلنا نبدو أجمل " ، الحب !! ما هو ؟ كانت كل الأيام عندي ملك لي و لدراستي و طبعا للكتب ، لم تغادرني العبارة لأيام ، و سألت نفسي : ألا يمكن أن نكون بلا حب ؟!! ، أمر سخيف حقا ! ، عندما كنا في الثانوي كان الحب هو أن تتعرفي على شاب فقط ، كل من يتكلمون عنه كانوا كسالى و أغبياء و راسبين ، إذن الحب محاولة اثبات تعويض العقل بشيء آخر و أضعف و أسهل ، هو أن ندعي أننا نحب . آه من هذه الشطحات السخيفة .

مرت الأيام و عدت إلى المكتبة لأعيد الكتب المجانية ليأخذها غيري و أستعير غيرها

و لم أتمكن من أن أسكت الصوت بداخلي :

- يا عم ، هل عاود الحضور صاحب الكتب ؟!
- من هو لم أفهم !؟
- قصدي ذلك المتع !!

ثم سكتت و قلت بسرعة :

- الذي حدثتني عنه منذ أيام .
- آه تقصدين السيد - مطر- ، لا لم يأتي .

سكتت و لم أعرف كيف أضيف سؤالا آخرا ، و لما أنا أسأل أصلا ، و لما قدمت قبل أن أكمل الكتاب الذي ادعيت أني أردت ارجاعه ، لماذا كل هذا التحايل ؟ !!

- شكرا يا عم .
- إذا أردت شيئا منه ، فهو سيعقد لقاء هنا في قاعة المكتبة للتعريف بالمبادرة ، سيكون إذا أردت القدوم أهلا بك.

خبر كهذا أسعدني كل الطريق و أنا أقول :

- لما أنا أسال ؟ و لما أنا سعيدة بقدومه.... الموعد أكيد .

تذكرت فجأة أغنية فيروز ، أغانيها كانت هبة ، هدية أفتحها مساء ليعلو صوت الفرح و تطير الفراشات في غرفتي احتفالا بقدومي . بعد يوم دراسة طويل ، كان صوتها مع رائحة القهوة التي تطهى على مهل ، و بداية خيوط المساء المضيئة ، تنبت في عقلي و يحين الحصاد مع المغيب لا جدوى من الهروب ... حتى النوم يعرف أنه يجب أن اكتب قليلا لكي يسمح له بالدخول . كانت الأغنية تقول : " لا تعتب عليا اعتب على القمر" .

أحسست أني لأول مرة أجلس مع عقلي دون أن أتمكن من الكلام ، و هو غير راض عما أقوم به. بدأ يفقد سلطته و الحماية من شطحات القلب ، بكل ما تحمله المسافة من أمان نفقد الصبر على الانتظار و يصبح البقاء بعيدا هناك في مرتفع العقل صعبا .

تشدنا هذه الجاذبية فنرى ارتطامنا بالقاع ، لكننا نقفز ، يغرينا هذا التصاعد في الأنفاس و الخفقان المتسارع يجعلنا نفرز هرمون السعادة فقط للحظات نعيشها ، ننسى كل ما كان و ما سيكون لنا من حياة...

لحظة ينسكب العقل فيها في داخلنا وتجري الدماء بقوة لنسمع صوت دقات القلب . أهي مغامر؟ أم انتحار أن نفكر بالحب ؟ ....

لكي تحب يجب أن تخلع عقلك و تضعه بعيدا ، طالما لم تعجبني فكرة العاطفة و أننا لا نملك العيش بدونها ، و أن الحب هو من يصلح كل ما فينا من عيوب ، لما أنتظر الآخر لكي يجعلني أكثر قربا و حبا لنفسي ؟؟ ، أليس جنون أن تعيش لسنوات طوال مع أناك ، لتعرفها فقط عندما يسلط عليها ضوء الحب ؟!

هو جنون أو ربما أي مرض آخر نسميه حبا....

ظلت الأسئلة ترافقني في البيت و في غرفتي و حتى مع حبات السكر التي تذوب مع ظلمة القهوة ، تطفوا الأسئلة لتمنحها طعما جديدا . لم يكن التفكير فيه مزعجا ... سيد وسيم و متعجرف و قليل الكلام ، كلها كانت مغرية للبحث عنه ، كانت الفكرة تكبر في رأسي يغذيها الفضول ....

عدت إلى صاحب المكتبة لأسأله عن الموعد بالتحديد لأني كنت أدرس ذلك اليوم ، قال :

- بعد غد على الساعة الثانية .....

- الوقت غير مناسب حصة الرسم مع أستاذتي مقدسة عندي لأني تعلمت قراءة كتابي الأول بين فراشي الألوان ، بدأت به ، هو لغة الصورة و بعدها لم أغادر هذا الكوكب المضيء بل اخضرت أمتعتي و استقريت هنا وحدي ....

كان يجب أن أفكر...نعم كيف لكي لا أفقد كل ما خططت له !!

اتصلت بالأستاذة ، وطلبت منها أن آتي يوم الجمعة مساء مع حصص الرسم للأطفال و أساعدها في نفس الوقت كما طلبت مني في مرات سابقة ... طبعا استغربت الأمر لأني عادة الجمعة أبقى في البيت لمساعدة أمي ، و لكي أعود لنفسي و أرتبها لبداية أسبوع جديد.....

أخبرتها أن عندي ظرف طارئ .

- نعم لا بأس عزيزتي ، أنتظرك و لا تنسي أن تحضري لوحتك الأخيرة لكي تكملها قبل المعرض...
- شكرا أستاذتي .

أحببتها مثل ما أحب الألوان التي تسكنني ، تشبه قوس قزح يزين سماء ملبدة بالظلمة...

أغلقت الهاتف و بدأت التفكير.. لماذا كل هذا الخلط والبعثرة و الاعذار ؟ هل بدأت أعراض الهلوسة تظهر ؟ ، شيء ما يوقفني عن استغراب الأمور ويجعل كل ما أقوم به يبدو عادي ا جدا .

يجب أن آخذ جرعة أخرى من النغمات ، بدونها قد أصاب بنوبة أسئلة فيظل قلبي عابسا. دخلت القاعة الكبيرة المزينة ، كانت الستائر كلها بلوني المفضل البنفسجي ، كم أحببت اللون لأنه غريب و لا يخضع للطبيعة لا يرذح لتقلبات الضوء و لا لظلم السواد ،هو يجمع الجمال والهيبة .

دخلت ونظرت إلى الاتساع و الإضاءة ، كانت قاعة جميلة تتوسطها مكتبة فاخرة ، شدني منظر الكتب ليس سواها معشوقتي و أكيد بطل الحكاية ومسبب المتاعب لهذا الأسبوع السيد المتعجرف ، تجولت عيناي في كل المكان لم أجده ، تراه لم يحضر؟!

الكتب موجودة هنا ، أبحث عنه ، كأنني أكاشف ذاتي من جديد ، وقفت أرى نفسي أتلهف لرؤية شخص لم يكن معي لطيفا ، لم يقدم لي معروفا ، حتى أني لا أعرف اسمه . بين السؤال و السؤال أوقفت جرس العقل و هربت إلى الدفء هناك في النبض ، كنت كوليد صغير يهدهده حضن أمه ، غفوت في غمرة الحب والحلم ، ذكرت في حلمي كتاب كان لي هدية من صديقتي

حيث كنا نتناقش عن موضوع الحب و كنت أرفض بشدة أن يوجد رغم عنا و أن يتحكم بنا و يلتهم وجودنا لننسكب في كاس من نحب . أرادت اقناعي بما يحمله الكاتب من اقناع في أوراقه الصفراء التي تظهر النية من أن نقتنع لكي نكون أضعف ....

" كيف نقع في الحب ؟ " كان عنوانا مثاليا ليقنع القارئ بشرائه ، هي حملة اشهارية باسم الحب

حيث كل الناس تسأل كيف نحب ، ربما لأنهم يظنون السعادة هناك في الضفة الأخرى ، كان

الكتاب يحمل على غلافه زرقة الماء .

هنا .. ستكتب لك حياة جديدة أم جميل ، ألم أكن حيا من قبل ؟!

أضحكتني سذاجة صديقاتي و استفزني الكتاب لأنه يجعل منا ملك للآخرين لقراءته ، نعم لكن كان لابد أن أعرف الخرافة التي تسكن أجساد الشباب ، لا جديد فيه عما هو من قبل ، فقط ترتيب و تنميق للعواطف و زيادة في الوهج لسيادة الحب .

بعد بحث طويل استندت على كرسي أمامي خجلا من الضيوف الجالسين خلفي ، بدوت كطفلة ضائعة تمد نظرها و تحبس دموع الخوف داخلها جلست و استسلمت لفكرة حضور الحفل بدونه ، أقنعت نفسي بأن المناسبة هي للكتاب و هو الحبيب الأول و الأخير ، كانت العبارة لا تغادر بل تلتف و تعود لتطرف باب السؤال " أين هو.. أين ؟! "

لم أتمكن من البقاء متصنعة الاستمتاع و الاستماع ، قررت الذهاب إلى المنظمين لكي أسال على صاحب المبادرة . بخبث مشروع قلت أنني أريد بعض الكتب لجمعية اقرأ ...

بدأت بالكذب مهما أقنعت نفسي بمشروعيته يبقى تحليقا في السراب ،قال لي أحد المنظمين : نعم آنستي ، أنت تسألين عن السيد مطر ، إنه هناك .

و أشار بأصبعه ، كانت إشارته مصدر فرح .كم مضى من وقت و أنا أبحث قرون من الثواني و بقايا عمر.

اسمه مطر، كان كذلك يشبه اسمه حيث تمتزج كلماته كقطرات المطر بأوراق الشجر لتخلق لمعة في القلب ، التفت إلى المكان ... كان يشير إلى سيد هناك ضمن كثير من الناس المحشوة في ملابس أنيقة . كم كرهت التصنع بالطقم الأسود و السيجارة المتعبة ، أظن أنه اختراع فاشل ، يبدو فيه المدخن متعبا ومرغما على حمله ، هي قوانين الاستمرار هنا .

- أين هو! هم متشابهون .

قال :

- هو ذا باللباس التقليدي .

- أوه نعم ...

كنت متأكدة أنه لن يخذلني و لن يجعل نفسه رقما من الألف هنا ، لأنني أتيت لأراه ، يجب أن يكون هكذا ....

رأيته و كأنني أعرفه من سنين ، كانت اللحظة التي سخر من تصرفاتي هي الوحيدة مبتسما و ذا إشراق ، ربما هو ضوء القاعة ! لحيته و تسريحة شعره البسيطة جعلته يبدو وسيما وتمسكه باللباس التقليدي اليوم جعله الأجمل . بدى مثل زمن تولد الرجال لتبقى على قيد البسالة . هكذا تخشبت في مكاني بعد كل هاته المغامرات انسحبت ... لم أجد نفسي جاهزة لاستقباله.

كانت كل الغرف مبعثرة و لم أجد وقتا لترتيبها ، الأبواب و النوافذ مليئة بالأتربة لم تكن بداخلي سوى كتب ، و بقايا خواطر بأقلام متناثرة....

أخذت نفسا عميق أغلق كل الابواب و تركت الردهة المطلة على قلبي فقط مباشرة و بخط مستقيم اتجهت نحوه :

- مساء الخير، أنا أحد مقتني الكتب المجانية ، أردت أن أشكرك على المبادرة .

نظر إلي و ابتسم :

- أنت جيدة ، تعلمت أن تلقي التحية أولا .

أحسست أنني أقف على قطعة جليد ، يتصاعد البرد حتى حنجرتي أردت أن أرد عليه و أقول له أن ينزل من فوق هذا التعجرف و يكلمني هنا...لكن ...ثواني مرت و أنا أحدق في عينيه الواسعتين ، صحوت فجأة على كلمات التقديم لهذا الحفل

سيداتي سادتي أهلا بكم في هذا الحفل الذي هو تشجيع لكل ما هو ابداع شبابي و تحفيزا للقراءة ...

أشار إلي صاحب الغرور و التكبر بأصبعه . كان يتقن الاستفزاز، يعرف جيدا فن الصمت والكلام ، ما كان لي إلا أن استدرت و نظرت مطولا إلى نفسي ، لما أفعل كل هذا ؟ ...

كانت الكلمات تتناثر أمامي ، لم تدخل ، بل تجاوزتها و مشيت بأفكاري بعيدا ، تركت التصفيقات تعلن عن نهاية التقديم الشرفي . إنه هو ! وقف أمام الجميع في المنصة و بدأ يتكلم فبدى صوته مثله محبا للتكبر، قال القراءة ليست فقط

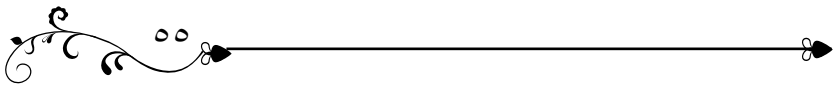

لكي نكون مثقفين و لا لنعرف معلومات كثيرة ، لكن القراءة يا عزيزي حياة لكي لا نكبر باكرا ، لنحتفظ بالشباب بداخلنا. يجب أن نجعل مع فطور الصباح جرعات مما عاشه الناس لنفهم أننا هكذا خلقنا فقط لنجرب أن نعيش .

إذن بعيدا عن صناع العالم الأفضل و بعيدا أن نحول علاقاتنا و مشاعرنا وحتى ذكرياتنا أرقاما بلا روح ، أتكلم مع الذين ينتظرون الحياة هناك بين محطات الانتظار البيولوجي ، إن التنفس وحده لا يكفي لكي تبقى موجودا لأننا خلقنا لنحيا للروح قبل الجسد . من هو هذا القادم من بين الكلمات ؟ يمتطي صهوة الزمن ، وجوده يعبق المكان ... صفقت له كأني أراه لأول مرة ،

رأيته بلا أفكاري الطفولية ... ازدادت القاعة جمالا ! نزل و تقدم مني ، لم يكن حقا قادما إلي أنا من كنت أجلس في مكانه.

- أنت إذن تحبين الاحتفاظ بكل شيء لنفسك ! التحية و المكان و الكتب ..

ابتسم ، وقفت مسرعة أعتذر :

- كنت أستمع للكلمة الافتتاحية لم أنتبه ...
- لا عليك اجلسي ، أنا أمزح و قرب كرسي آخر أمامي ...

هل كان الجو باردا و نحن في هذا الصيف ؟؟!! يداي باردتان و كنت أحتاج كأس ينسون ساخن ...

- ما اسمك ؟ لم نتعرف .. أنا اسمي مطر، أعمل صاحب دار النشر اقرأ ، و أنت ؟
- من ؟ أنا !!
- طبعا أنت .

- احم ... احم

كانت حنجرتي تزدحم بالكلمات لكنها بدل أن تخرج اختنقت بها ، ساد سعال سخيف حتى أحضر النادل الماء ، كم كنت أرغب أن اندس في هذا الكأس وأذوب . كنت معه أتلاشى بين هاته النظرات . أتراني قد وقعت في الحب !؟

استجمعت كل ما في من جنون و قلت :

- نعم أنا اسمي تحية .

لم أكد أكمل الاسم حتى انفجر بالضحك . كم هو جميل عندما يضحك!

- آسف حقا ، لكن أنت تحية و لا تلقين التحية ...

ابتسمت و كدت أن أضحك كذلك ، لكنني تذكرت أنه يضحك علي . عادت الطفلة المشاكسة بداخلي ، صحوت على صوت ضحكاته....

- ماذا ! و لم تضحك !؟ أولا أنا أعرف التحية ، أنت من كنت تقف فوق هذا التعجرف ، أنا لا يهمني أنك صاحب دار النشر لأن الكتب حق للجميع ولي . أنا أقرأ بدون توصياتك .

اشتعلت أفكار مجنونة بداخلي و قمت و خرجت بسرعة ولو لم أتكلم لمت غيظا بمثير من الانفعال خرجت من القاعة و اتجهت إلى الحد خارج أنتظر الحافلة و أنا أحدث نفسي " أنت تستحقين كل هذا ، قلت لك أن لا نحضر . ها أنت قد أخذت كلمات إضافية احتفظي بها في صندوق ذكرياتك.....

في هاته اللحظة دق الكرسي مرتين ، التفت ، لا يمكن !!! لقد جاء.

انحنى رأسه لتحية و قال :

- ممكن أجلس ؟ .

أومأت له بالقبول ، لم يكن بإمكاني الرفض ، لا تسألوني لماذا...

جلس و بقي لثواني يتأمل ما بقي من طبيعة ، شجيرات أكلها الإسمنت و صناع العالم الجديد ، ثم فتح عينيه و صوبهما باتجاهي ...

- هل انزعجت ؟!

لم أنتظر أن يكمل ، فقلت :

- طبعا نعم ، أنا لا أحب السخرية من اسمي ، لطالما أحببته منذ ولدت لأنه ولد قبلي ، ولد مع جدتي التى فقدتها منذ ٣ سنوات ...

- حقا آسف صدقيني ، أنا لم أضحك على الاسم ، كانت فقط مفارقة لتحية لا تلقي التحية وابتسم .....

قلت له :

- مازلت ...

- لا لا أعتذر سأتوقف . تحية سعدت ببراءتك ، هذه بطاقتي لدار النشر إن أردت أي مساعدة....اتفقنا و الآن دعينا نكمل الحفل.

عدت معه محملة بعطره ، و على متن كلماته دخلت إلى عالم جديد من ورق لكن ورق الزهور. لم أكمل الحفل بل اشتعلت موسيقى بداخلي ، أجلسني بجانبه و قال :

- هكذا قد صالحتك خلاص سامحتني ؟

رفعت عيناي و أنا لا أملك سوى التحديق به .

- أفهم أنك موافقة لنكمل الحفلة .

كان للكنة وقع الناي في أركسترا حيث يتخلل صوته حنينا و حبا .

انتهى الحفل و كان مشغولا في هذا الوقت بالصحافة و المتملقين له . انسحبت بهدوء إلى حقيبتي و خرجت ، لكن لم أجد الشارع كما تركته ، بل تفتحت الزهور و حتى العصافير عادت إلي . لم أنتظر الحافلة لأنني أحسست أني لأول مرة أرى كل ما حولي .

كانت الأيام تمر و انا أتأمل في بطاقته الرمادية مع خطوط تشير إلى كلمة " اقرأ " ورغم أني أدس في رأسي بين الكتب إلا أنها تظهر لي منكل مكان عيناه .... أقصد البطاقة ، لم يكن الأمر سهلا ....

كم كانت الحياة أسهل من قبل ! كان السهر عندي للتفوق و لم أكن أتأخر على وسادتي سوى ثواني و أذهب إلى الغد.

الليلة الأولى لم أغلق عيناي فيها و لم أحمل فيها كتابا ، كانت أول يوم أحس بأني أرقص من داخلي و تزهر في وجهي أيام الربيع .

مرت أيام الامتحان بسلام ، و عدت إلى صاحب الغرور.... فكرت أن أكلمه ، لكن ما أحمله من عند منعني ، استجمعت كل قوة في ، و حملت الهاتف سجلت الرقم ... كان صوت رنين الهاتف مرعبا خد الخوف مما سأقول له و لن أتمكن من قوله .

- أولو من معي ؟
- احم .. أنا تحية مساء الخير سيد مطر.

لحظة و انقطع الاتصال ، أحسست أني تجاوزت كل الأمكنة و جلست في ركن مظلم هناك ، تعودت أن أعاقب نفسي ، دقائق مرت كأنها دهر ، تناثرت أنامي ، أحدق بها و تحدق بي حتى اختفت مع رنين الهاتف :

- ألوا ، نعم تحية .

قلت :

- نعم كيف حالك ؟
- اعذريني كان اتصالا مهما و توجب أن أغلق الخط .

قلت :

- لا داعي للاعتذار ، أنا ربما تكلمت في وقت غير مناسب .

قال :

- كل الأوقات تناسبك و تنسابين بين دقائقها .

كانت كلماته بطعم حبات السكر الكريستالي الذي يزين قطع الحلوى ، تتذوقها لتشتاق لها مع نهاية كل قضمة ...

- ألو... ألو تحية ، هل أنت معي ؟؟
- نعم ، نعم .
- كنت قد حدثتني عن مبادرتك .

استمعت لكلماته و كأني أحضر حفلا و أتراقص بين نغماته ، كم كنت بعيدة فوق سحابة .

- ألو أين أنت ؟!
- أنا معك...
- جيد أخبريني عن مشروعك.....
- هو مبادرة لإعادة ثقافة المطالعة تحت شعار" هناك دائما وقت للقراءة " .
- جميل يعني إنشاء خزائن للكتب في الأحياء الفقيرة و التي ربما لا يقرأ فيها كتاب . كلام جميل سيدتي الجميلة ، أنا معك .

كان شيء ما يتحرك بداخلي ، ربما كنت أعيشه قبلا ، كان مجرد عظمة وتكبر على قلبي الذي لم ينبض إلا بيولوجيا ، بت أسمع خفقانه في كل جسدي و أحيانا نسارع إلى ذلك الضوء هربا من الظلمة ، ندفن الخوف المحيط بنا ونقنع أنفسنا أننا على حق مع أن ذلك الشيء ليس سوى انعكاسا للمرايا التي

تغلق علينا من كل الجهات . قانون المحاولة يدفعنا و تغذية الرغبة و وهم الحب مازال الخرافة التي لم تمت . نراه أنه الوهم المشروع .

بعد السقوط تزداد الظلمة و نفقد حتى انعاس المرايا ، السقوط يعنى فقدان البصر ..كانت الكلمات تتجه مباشرة رغم أني حاولت أن أتفاداها إلا أن جسدي لا يغادر، يرفض أن يقتنع أنه مات منذ أن لوح بيده و قال وداعا .

بين كل أشجار الحديقة كان لي مكان في هاته الجذور و كان لقلبي حفر تنبض باسمه ، تبا له لما أيقض ما كان نائما منذ ولدت ؟ لا يعلم أني حاربت قبله كل ما في من رفض ، كان وجوده ضرورة ...نعم يناسب المكان و الزمان ، بوجوده يعتدل الطقس و تبتسم السماء ، بعد تذكر تكبر حولنا دائرة ملونة . براقة هي من تلون ما حولنا من أشكال رمادية عابسة ، نسمع ضحكات الأزهار و يبدو لنا الباب مبتسما فنشعر أننا أخف من تلك الأوراق المتساقطة من شجر الخريف.

هو وحده من يسحب الأرواح الشريرة و يحرقها للأبد و يأخذنا بهدوء إلى غفوة بين يديه. أخذت من صوته الهادئ الرخيم المعبق بالغرور موعدا ، قال لي :

- مبادرتك مهمة ...
- نعم أنا أعرف أن أفكاري كبيرة.
- نعم يا صاحبة الأفكار إذن غدا يناسبك لأني سأكون هنا في مكتبي.

كانت الإجابة :

- نعم طبعا .

لكن تلك الطفلة الشريرة بداخلي احتفظت بالرد لثواني لكي تصنع مسافة تحتفظ بها بأنوثتها - ألو ألو آنسة تحية ، مازلت هنا ؟!

قلت :

- نعم أنا هنا ، أعتذر... سأحضر إن شاء الله .
- هل تعرفين العنوان ؟
- لا .
- هو خارج المدينة ببعض كيلومترات ، لا عليك سأرسل لك سيارة من الشركة ...
- موافقة .
- إلى اللقاء يا صاحبة الأفكار الكبيرة.

كم كانت طريقة كلامه مزعجة ! هو يتقن استفزازي . ما أقوم به الآن يسمى فضولا ..لا أظن أن محاولة قطف السحب من هذا الارتفاع يسمى مغامرة بل هو جنون....

كان المساء يعج بالابتسامات ، رجعت لخزانتي ، ماذا ألبس ! يجب أن أبدو أنيقة بدون تكلف مثله سيد الغرور الأنيق .

انتظرت الغد ، طفل ينام مع ملابس العيد و يحلم بالغد ، كنت قد استيقظت قبل السنونو و قبل أشعة الشمس بدون منبه و على غير العادة كان الصباح ينظر إلي باستغراب و أنا لا أغادر المرآة .

الثامنة و دقيقة سمعت صوت السيارة ... نعم هي سيارته السوداء الفاخرة ! نزلت بسرعة ولم أتذمر من طول السلالم كالعادة . أهكذا يفعل بنا الحب ؟!

- مرحبا .

فتح لي الباب مثل أميرات الحكايات التي كنت أقرأ عنها ، كانت الطريق مليئة بالأسئلة لما ؟ و ماذا أريد ؟ أين أنا من كل هذا ؟ لكن كل هاته الأسئلة كانت تتبخر عندما تلامس الشوق بداخلي...

- لقد وصلنا تفضلي سيدتي.

أعدت ترتيب نفسي و لملمت أفكاري التي بعثرها الشغف للقاء بخطوات واثقة ... حاولت أن تكون كذلك مشيت إلى المكتب :

- نعم سيدتي انتظري قليلا حتى أخبر السيد المدير بقدومك .

نسيت نفسي في غمرة الانتظار ، نعم كان مشغولا بأحد العملاء ، لطالما لم أحتمل انتظار أحدا ، في تلك المدة القصيرة تعلمت أشياء كثيرة ، لم أكن أؤمن بوجودها قبلا . دخلت المكتب بخطوات تدعي الثقة .

- اجلسي كيف حالك ؟
- بخير.
- جيد ، المهم تحية أنا اطلعت على فكرتك التي أرسلتها لي و هي مقبولة ، لكن أعتذر لأن أمامي رحلة سفر ، لهذا سيساعدك صاحب المكتبة التي بجوار بيتكم ، لقد تكلمت معه و إذا احتجت أي كتب اطلبي منه . تشرفت بك ..

كان يتكلم و هو يرتب أوراقه بسرعة ، لم أتكلم و لم أجد ما أقوله ، كنت كورقة الخريف التي تتوهم سقوطها على أنه رقصة على إيقاع الهوى ....

لم تكن هناك بداية لأي حكاية ، أنا من نسجت في مخيلتي ألاف القصص. كان حقا فتى الغيم شخصية تجعلك تحب ، كما تحب الناس المطر.

عدت إلى البيت ، و أنا أردد مقطع من أغنيتي المفضلة " لهذا لا نحب لأننا بوجود القلب نزداد ضعفا " ، بعدها اعتذرت من عقلي و حاولت أن أصالحه ووعدته أني لن أعيدها و أغلق الباب في وجهه .

أبدا... أنا لي كل الفصول ولكن يبقى المطر فصل الحب .

جميلة أنا أعلم هذا و كل حكاياتي تشبهني . ولي في زواياها ذكرى و ابتسامات وعبر، كلمات لفتى الغيم ، حاول أن ترقص على أنغام زخات المطر.

****

يومًا ما

إلى ما بقي لنا من وطن لم تعد الكتابة متعة... صارت هي الملاذ الوحيد لنا لنخبئ فيها أنين الذاكرة .

أنا أشفى بالكتابة و أغادر بها كل من حولي . لن أقول أني على حق لأنني جزء من هذه الأخطاء المنسجمة ، لم أكن وطنا لها. رغم كل محاولاتها معي هي آمنت بي كحب.كانت تراني أستحق المحاولة ....

فهمت متأخرا أن من يحبوننا يبقيهم هذا الحب قيد الأمل ، لم تكن موجودة و متاحة حد الملل ، وجودها الدائم جعلني أظن أنها لا يمكنها أن تقرر المغادرة . بعد كل ما فعلته بها كانت تحلم أن أتغير يوما ما.... ذلك اليوم لم يوجد لأني حطمت كل ما جمعته من ساعات لترتبها على شكل يوم جديد ،لم أبقي إلا على الخراب داخلها ، بعثرت مشاريعها و سرقت منها القدرة على الحلم و لأنها لم تعد تحلم بي ... أصبح الاستيقاظ يجعلها تراني بوضوح ، هذا الوضوح هو أني كائن نرجسي . استجمعت كل العمر الذي ضاع معي و قالت ماذا تريد ؟؟؟!!!

حقا ماذا أريد ؟ لقد كان ارتطاما قويا بالواقع ، لطالما نسجت لنفسي تلك الشرنقة و اختبأت في سبات عميق مدعيا أني أعرف كل شيء .كشفت لي أني حتى لم أعرف نفسي ،كان سؤلا حقيقيا يجعلك تتوه في الزمن لأنك ستسحب الغد و الأمس و تمزجهما مع أناك .

أعادت السؤال ، و بنبرة ألم :

- ماذا تريد ؟ أنت حقا لا تستحق ما كان مني ، أنا أدفع ثمن اختياراتي عمرا و بقايا امرأة ، أنا أيقنت هذا منذ أن عدت ترجع للبيت دون كلام و كأنك لا تراني منذ صار لي وجود فقط عندما يحل في بيتنا ضيوف ، تدعي أني أهم ما في حياتك . ما عادات مسرحياتك تستهويني لأن ما كان ينبض لك مات ، قتلته بكبريائك السخيف .

الحب هو أن نتكلم و أن نفهم أننا بشر لسنا ملائكة . سيكون الحب بشريا بكل ما يحمله هذا الكائن من مفارقات من روح من جسد .

الحوار هو من يجعلنا نسامح و نرتاح و نساعد بعضنا ، لكن عندما ينقص بيننا تضعف العلاقة.

الاصغاء مهارة نبقي بها من حولنا على نبض الاحتواء لكي لا تفلت الأمور منا....

في لحظة ستنفجر الكلمات المخزنة و المكبوتة تحت مسميات سخيفة ، نظن أننا نتحكم بالوضع تحت ما يسمى الطاعة و الاحترام و النظام ، كلها عقد ومشاكل نفسية نغطيها بالأمر و الصراخ و فرض الشجاعة في الاستماع والاقناع...لهذا لن يكون لك الحب إذا فرضت نفسك بالقوة.....هي الرحلة الانا ..حيث.نجتاز طفولتنا بسرعة بحثا عنا كبارا أحرارا ، لكن عندما نكبر نتقيد أكثر ، عندها نفهم كم كنا حقا أطفالا ...

إن الحرية ليست سوى خيال في عقل بريء.

قالت لي يوما ما ستفهم الحياة ، فكرت حينها أنها تستخف بي و كان لجنود العمر ردة فعل فضة قلت :

- إني أعرف الحياة أحسن من الآلاف .

تركتها تشاهدني أغادر و أنا أركل كل ما يصادفني في طريقى من أحجار و علب وحتى نباتات بريئة ذنبها الوحيد أنها جاءت أمامي .

كان كلامها يعبق المكان ، لكني لم أكن أحب نبرة النصح و التوجيه لتصرفاتي ، احتملت كل حماقاتي و تجاوزتها بابتسامة و تنهيدة في آخر لقاء جمعنا قالت لي

- إن الهواء ضروري للبقاء على قيد الحياة ، حتى علاقاتنا الانسانية تتنفس الهواء. هواء الاصغاء و الاهتمام و الحب و الرغبة في الاستمرار.

في داخلنا يجب أن تكون هناك مساحة تقبل للآخر ، لأن علاقاتنا بطعم الأكسجين ، أنا و أنت لا يمكننا تحقيق قانون التنفس الشهيق و الزفير.

كانت في كل مرة تسحبني من غضبي إلى راحة يديها و تعيدني طفلا يلعب ويرقص فرحا بالعيد ، لكنها ما عادت تلك المرأة الحالمة . ما فعلته بها حولها إلى كائن لا يرغب بالحياة . أصبحت كل تصرفاتها آلية . حد الروتين ، حد الملل.

اختارت أن تغادر ...

قالت : كان قرارا كنت أعيش لأجلك لكني قررت أن أعيش لنفسي ما تبقى...

يوما ما ستقف لتسأل نفسك ماذا تريد ، وحدها الإجابة من ستعيدك لنفسك لأنك ضائع بين نرجسيتك و بين غرورك و حب التملك .

آسفة يا من أحببتك يوما ، لم أجد شيئا بداخلي مازال يريدك ، لن آخذ شيئا يذكرني بك حتى ملابسي غسلتها ليختفى عطرك ، و حقائبي و أمتعتي هي نفسي ، سأداويها بعيدا و سأشفى منك... لكي لا أموت بك يوما ما ...

كثيرةٌ أُنتِ على قلبٍ واحد

إننا يجب أن نظهر للعيان لأن كل ما بداخلنا يدفعنا للحيرة..... بتواطؤ مع الزمن لم أغادر الذكرى و بقيت هنا واقفا على عتبة الانتظار وتزيد من وحشة المكان....تجاعيد المساء و تحت سطوة الماضي لا يبقى أمامي سوى الندم....

آه كم يقتلنا الندم بدم بارد ! قارب اليوم على لفظ أنفاسه الأخيرة و كان النهار متهرئ كأنه لبس من طرف كل البشر و رمي مساء في سلة الذكريات ، وتنام كل الأعين لكني لا أنام بداخلي ضفتين لا جسر يمتد بينهما ، وحده السؤال بطعم الوجع هو من يعبر حافيا يمشي على الجرح ببطء ، هو لا يجيد إلا فتح الماضي ليعيد كل ما كان. أسأل نفسي " هل كان التذكر صعبا أم هو ألم العودة للوراء ؟! " ، يعبرني السؤال و لا يكف عن دق باب كنت قد أغلقته من سنين أو بالأصح اعتقدت أني أحكمت إغلاق أقفاله.

أحاول أن لا أنصت لهاته الأصوات لكنها تغري كل مافيا من اشتياق وحنين فتستدرجني أفكاري إلى حافة الذكرى هنا و من هذا العلو أشاهد ما لم أراه و أنا في عبثي القديم ، فأعتزل كل ما هو طبيعي و أعبر ماضي من أيام لعلي أجدني بين ثنايا العمر..كانت آخر رسائلها اليائسة تترصد الأمل في اللقاء ، حينها لم أفهم أنه ألم الممكن المستحيل ، و أني كنت بالنسبة لها أستحق المحاولة ، فالحب هو من يصنع لها الأمكنة فنحن نولد حقا عندما نحب.....

متأخر كعادتي متشبث بكل ما هو أنا ، لا أريد أن أحب إلا ذاتي ، هكذا لم أتغير من شرفتي النرجسية أطل بكبرياء أحمق ،لم أدرك أني أعني الحياة لشخص لم ينتظر حتى الرد على رسائله المستسلمة للنسيان...

في تلاشي الرغبة كانت تكتب لها و لي لتحكي سطورها البريئة قصة حب يولد من رحم الشقاء...قالت :

لم يكن حبك مشروع حياة ، لم يكن قرار كان قدرا ،كان لأنه يجب أن يكون هكذا دون كثير من علامات الغباء التي تسأل عن النهايات ، لذا لا تدع تفسير الأمور يفسد علينا هاته اللحظات فما مضى لا يعود ، و لا تتنفس العاطفة هواء تلوث الحسابات ، ففي حضرة الحب لا مكان لممارسات العقل ، فلا داعي للتذاكي على ما بقي من رغبة في كسر خرافة المفروض و ما يجب أن نمثله من أدوار مزيفة لنعيش أجسادا بالية و قلوبا معلقة تحركها رياح الحب الضائع. فقد تعبت الروح من عمر هزيل لم يعد يستطيع حمل أحلامه التي تسقط منه حلما بعد حلم ، لذا قررت أن أركب صهوة الحب و أقفز فوق فوهة المعتاد والمألوف ، أعلم أنها وثبة نحو المجهول لكني سأحمل كلماتي بما فيها من نبض فهي تمنحني القوة . لا يهمني ماذا أو ما هو المعقول ،

من يجب أن يبادر بالبوح بهذا الخفقان المتسارع على نغمات الحب ؟، لأني معك تجاوزت حدود الأنا ، معك أصبح لي وجود فيك و بك حيث تزهر أبجديات الأمل...لأن الروح من تحب لا الجسد ، لذا فحبك سرمدي وجد ليبقى حتى وإن رحلنا سيبقى يستمتع بميلاده في كل لحظة ، هو بداخلي يراك بعيون عاشقة ،

يختبئ من أحاديث الغير و من نظراتهم له لأنها تخلق أجوبة أكبر منه تفقده الرغبة في البقاء . دعني أحدق بك بين الكلمات و تعانق أنفاسك حروف الاشتياق وحتى إن لم نلتقى فسيبقى البحث عنك مغامرة تستحق العناء يا بطلا بعبق الحبر استعمرت بياض أوراقي و استسلم لك القلم...

سأبحث عنك لأنني يجب أن أحلم بأن نكون معا ، إنه قانون المحاولة داخل عالم من ورق يبقى الحب مشروعا افتراضي يوجد بك و معك... سأعيش بما يكفي لأكتب عنك .

آآآه كم كانت امرأة تتقن الكتابة على إيقاع الشوق ! ،كنت بعد كل رسالة أصحو كالثمل من ليلة سكر رأسي ثقيل و بي نشوة تشوبها ترنيمة كبر ، لأني بعد كل رسالة كنت أمارس رجولتي و أمزق شرايين الورقة لتنزف طوال الليل حبرا و حبا ثم أرمي ما بقي في النار لينضج الغرور في نفسي يوما بعد يوم..... أما الآن ، فأنا هنا أسير رسالة تحتلني سطورها و تحكم قضبان عباراتها علي بقدر ما كنت أرقص فوق رماد خواطرها ، هي الآن تلتهمني و يتسع الوجع ، أدمنت حروفها ، سيدة الوجدان تتنفس عاطفة عذراء كانت كلماتها خارطة البحث عن قلب غادرها بلا استئذان ، و بقي هنا يطرق بابي و أنا تركته ينتظر و يحتضر.

هي جمعت كل الأزمنة و لم تتخطى الحدود مغامرة تسافر على متن عباراتها حتى و إن لم تتعدى رحلتها بياض الحلم ، هي امرأة مصنوعة من حبر و ورق

و خيال ، تبتكر زواياها لتكبر مساحة الفرح داخل كلماتها ، تختبئ بين السطور و تبوح أبجدياتها بكل أسرار الحب.كانت وافرة الأمل تحمل بين يديها قلبا و قلما يكتب لي فقط لم ترد أكثر من قراءة رسائلها لتستنشق حروفها عطري و توصي الورق أن يسلم على أناملي حين ألامسه...

في نهاية الرسالة توقفت لبرهة و تنهدت بعمق ،كثرت الخربشات وتبعثرت حروفها وخفت بريق الشوق ،ثم عادت إلى آخر السطر وقالت عدني أن تكون دائما بخير لأجلي...سلام... لم يكن الأمر بهاته السهولة فأنتي سيدتي طويت الرسالة لكن الماضي لم يغادر إنه يحيل الحاضر أضغاث أفكار...كانت هاته الرسالة الأخيرة والوحيدة التي نجت من حماقاتي العديدة ولم ينفذ فيها حكم الإعدام لا أعلم كيف !!...ربما لتبقى لعنتها معي أم هو القدر...

امرأة تعيش على قيد الكتابة...توقفت رسائلها فجأة يعني..!!!..نعم ماتت مات الجسد الذي لم تعره يوما انتباها ول تعش بداخله إلا من خلالي خبر موتها أعاد لي ما كان وتوقف معه ما سيكون ، توقف الوقت وأصبحت الأيام تشبه بعضها وكل تفاصيلها لا طعم لها ولا لون....موتها كان إعلانا على أني سأبقى على قيد الوفاء..لأنه لم يبقى لي سوى التحديق في الحروف ...فهمت متأخرا أن قلبي لم يتسع لحب يختصر الكون ، كانت تحلم فقط أن تحيى قرب ابتساماتي .و الآن أنا في هذا الوسع من الأحزان بقيت وحدي أبحث عنها بين ما كان و ما لم يكن .

إذا كنت قد أحببتني حقا فخذيني سيدتي من هنا ، اسحبيني إلى عالم من ورق لأني هناك فقط ولدت وكبرت على يديك ، أما الآن فأنا بقايا إنسان يلملم قلبا أعياه البحث عن مملكة الوجدان.

كلمة المؤلفة

لطالما تساءلت عن سر هاته العاطفة حيث بها و معها تتسع الحياة و يصبح لكل شيء طعم و رائحة و لون .

وحده هذا الكائن النرجسي يستحوذ علينا ، يشعرنا برغبة في الحياة...

لا يحسب الوقت إلا به ، و معه نرى الأماكن من جديد ، هو الحب ، يجمعنا و يلغي ما بيننا من مفارقات . تتوحد اللغة ويصبح الكلام يتنفس عاطفة .

فتى الغيم هو الغيث الذي ننتظره عاما كاملا لعلنا نزهر من جديد. ..

هي قصص حاكت ازدواجية المفروض والمرغوب...تمنحنا لحظة تأمل قبل أن نقرر الفراق .

لا تعيشوا بدون الحب

أسماء عقوني

الفهرس

إهداء	٥
شكر	٦
كلمة	٧
كل الكلمات للشام	٩
صمت	٢٣
الحب يجعلنا نبدو أجمل	٢٩
وطن افتراضي	٣٥
فتى الغيم	٤٥
يوما ما	٦٥
كثيرة أنت على قلب واحد	٧١
كلمة المؤلفة	٧٨
الفهرس	٧٩

رسالتنا في المكتبة العربية للنشر والتوزيع:

- نشر كل إنتاج إبداعي ذو جودة عالية وأفكار أصيلة تعبر عن هويتنا العربية وتاريخنا العريق، تحترم قيم مجتمعنا ومعتقداته، لا تساعد في نشر العنف أو العنصرية، ترسّخ لمبدأ المساواة والحرية والعدالة. والسعى نحو الارتقاء بالأدب العربي في كافة مجالاته، والوصول به نحو العالمية.

لمراسلتنا بشأن نشر الأعمال الأدبية

arabiclibrary2017@gmail.com

صفحتنا على موقع الفيسبوك

facebook.com/arabiclibrary2017